# النثر الفني في العصر الجاهلي

اثر عن العرب في العصر الجاهلي نثر كثير وكلام غزير، كما أثر عنهم شعر جيد، وكان العرب يستخدمون نثرهم في شتى معاملاتهم، وسائراً أغراضهم الحياتية، ومن ثم كانوا يحتفلون له، ويهتمون به، ويختارون له الألفاظ القوية المعبرة والمعاني الشريفة، والأساليب الرصينة، وكانوا يطلقون على هذا النوع من الكلام النثر الفني لأنهم كانوا يعتنون به عناية فائقة، وهذا النثر يعطينا صورة صادقة عن حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

**وقد تعروت أنواع النثر الجاهلي، وأهم هذه الأنواع هي:**

١. الخطب. ٢. الوصايا. ٣. الأمثال والحكم.

## الخطب.

الخطب مأخوذة من "الخطب"، وهو الأمر الخطير، لأنه إنما يقام بالخطب في الأمور العظيمة، والأحوال الخطيرة، ولا يسمى الخطيب خطيباً إلا إذا غلب ذلك عليه وعلى وصفه، وصارت الخطابة صناعة له.

والخطبة كلام قوي معبر، ذو دلالة عميقة، وشأن عظيم من التأثير، يلقي هذا الكلام على حشد كبير من الناس لإقناعهم بما يعود عليهم بالخير العميم والنفع العظيم في دنياهم وآخرتهم.

## صفات الخطيب:

وضع أهل الجاهلية بعض الصفات لشخصية الخطيب البارع، ورأوا أنه لا يكمل الخطيب في نظرهم إلا إذا تحققت تلك الصفات في شخصيته، فمنها أن

يكون شريف الأصل ، صادق الحديث ، جهير الصوت ، قليل ، التلفت ، راسخ ، نظيف الملابس والهيئة ، حسن السمات ، يطابق قوله فعله، ذا وقار وسكينة وهدوء على أدب جم وأخلاق سامية ، وكانوا يمدحون فيه رباطة الجأش ، والثبات وابتعاده عن الارتعاش والارتعاش والحصر والعي ودقته في اختيار الألفاظ وعنايته بالأساليب والمعاني ، قال الجاحظ " أول البلاغة اجتماع آلة البلاغة ، وذلك أن يكون الخطيب رابط الجاش ، ساكن الجوارح قليل اللحظ ، متخير الألفاظ ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة ، ولا الملوك بكلام السوقة ، ويكون في قوله فضل التصرف في كل طبقة ، ولا يدقق المعاني كل التدقيق، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح، ولا يصفيها كل التصفية ".

وكان للخطباء في العصر الجاهلي أصول مرعية ، وعادت متبعة ، وسنن مطروقة في أداء خطبهم ، فقد كانوا يخطبون في المواسم والمحافل العظيمة ، والمجالس الكبيرة على رواجلهم ، وكانوا يلوحون أثناء إلقاء الخطب بالعصى والقسى والرماح قال " الجاحظ " في ذلك : " كانت العرب تخطب بالمخاصر وتعتمد على الأرض بالقسى وتشير بالعصى والقنا حتى كانت المغاصر لا تفارق أيدي الملوك في مجالسهم ".

وكان الخطباء في العصر الجاهلي يطيلون خطبهم أحيانا ويقصرونها أحياناً أخرى، يفعلون ذلك مراعاة لما يقتضيه المقام ، وما يتطلبه الحال ، قال " أبو عثمان الجاحظ " أعلم أن جميع خطب العرب من أهل المدر البدو والحضر على ضربين منها الطوال ومنها القصار ، ولكل ذلك مكان يليق به وموضع يحسن فيه ، ومن الطوال ما يكون مستويا في الجودة ومتشاكلاً في استواء الصنعة يحسن فيه ومن الطوال ما يكون متشاكلاً في استواء الصنعة ومنها ذوات الفقر الحسان،

والنتق الجياد ، وليس فيها بعد ذلك شيء يستحق الحفظ ، وإنما حفظه التخليد في بطون الصحف ووجدنا عدد القصار أكثر ورواة العلم إلى حفظها أسرع " .

## مجالات الخطابة :

والخطابة تستعمل في إصلاح ذات البين ، وإطفاء نائرة الحروب ، وقضاء الديات ، والتسديد للملك ، وإثارة المشاعر ، وإيقاظ العواطف ، وبعث الهم لخوض المعارك ببسالة وجرأة ورباطة جاش ، وتستعمل كذلك في التأكيد للعهد في عقد الأملاك ، والإشادة بالمناقب ، والوعظ والإرشاد ، والتقويم والتهذيب والإصلاح ، وعقد الاتفاقات ، وإبرام العهود ، وأخذ المواثيق ، ونشر المودة والألفة والمحبة ، والمناسبات الاجتماعية مثل العزاء ، والزواج ، والتهنئة ....

## أنواع الخطابة :

من يتتبع الخطب المختلفة ويحاول أن يقف على أنواعها يلاحظ أنها متعددة الأنواع ، مختلفة الألوان والاتجاهات ، والموضوع الذي يتناوله الخطيب هو الذي يجعل الخطب متعددة الأنواع متباينة الألوان والاتجاهات ، وها هي ذي أنواع الخطب :

١. خطب الوفود .
٢. خطب الرثاء والعزاء .
٣. خطب الصلح .
٤. خطب الزواج .
٥. خطب الحرب والتحضيض.
٦. خطب التهنئة .
٧. الخطب السياسية والبرلمانية.
٨. خطب التكريم والمديح .
٩. خطب الاستخلاف والولاية .
١٠. خطب الفتوح .
١١. خطب الدين والوعظ والإرشاد.
١٢. خطب المفاخرات والمنافرات.

١٣. الخطب القضائية . ١٤. الخطب العلمية .

١٥. خطب المناظرات . ١٦. خطب المدافعة والاتهام .

والحق أننا لم نقف على هذه الأنواع فيما بين أيدينا من نثر جاهلي ، وأشهر ما وقفنا عليه من أنواع الخطابة الجاهلية ما يلي :-

١. خطب الوفود . ٢. خطب إصلاح ذات البين .

٣. خطب الاستنهاض والدعوة إلى الحروب .

٤. خطب المنافرات والمفاخرات. ٥. خطب الزواج .

٦. خطب التعزية والرثاء .

## أشهر الخطباء في الجاهلية :

أنجب العصر الجاهلي كوكبة عظيمة من الخطباء ، أثروا الحياة الأدبية وزودوا المكتبة الجاهلية بمجموعة طيبة من الخطب التي تأسر الألباب وتستحوذ على الأفئدة بما تتسم به من فصاحة نادرة ، وبلاغة سامية ، فمن أقدم خطبائهم : " كعب بن لؤي "، وهو الجد السابع للنبي ﷺ، وكان كعب هذا يخطب للعرب جميعا، ويحضهم على البر ، ويحثهم على الصلاح والاستقامة ، ولما مات هذا الخطيب المصقع أكبروا موته ، وأرخوا به إلى عام الفيل ، ومن أشهر خطباء الجاهلية أيضاً " قيس بن خارجة " خطيب حرب داحس والغبراء ، و" خويلد بن عمرو الغطفاني " خطيب الفجار ، " وقس بن ساعدة " خطيب " عكاظ " الذي استمع إليه النبي ﷺ في سوق " عكاظ " ، " وأكثم بن صيفى " حكيم العرب المشهور، وقاضيها وزعيم خطبائها ، " وهشام بن عبد مناف " ، " وعبد المطلب بن هشام " ، " قيس بن عاصم " ، و " عمرو بن الأهتم " ، و " زهير بن جناب " خطيب كلب



obeikandi.com

وقضاعة ، و " ربيعة بن حذار " خطيب بني أسد ، و " عامر بن الظرب العدواني " أحد حكام العرب في الجاهلية ، " وهرم بن قطبة الفزاري " ، و " عمرو بن كلثوم " خطيب تغلب ، و " هاني بن قبيصة " خطيب بني شيبان " وابن عمار الطائي " خطيب مذحج .

وهناك غير هؤلاء كثيرون ذكرت مصادر الأدب والتاريخ أسماءهم ، وهذه الكثرة تدل دلالة ظاهرة على رقي النثر الفني في تلك الفترة ، كما تدل على ازدهار الخطابة وسمو منزلتها في الأدب الجاهلي .

## نماذج من الخطابة الجاهلية :

ونسوق الآن بعضاً من النماذج التي وقفنا عليها من الخطب الجاهلية لنقف على أنماط الخطابة لدى الجاهلين وسماتها ، ومكانتها عندهم .

### ١ . " أكثم بن صيفي " يعزي " عمرو بن هند " :

قال " أكثم بن صيفي " يعزي عمرو بن هند " ملك العرب عن أخيه :

أيها الملك ! إن أهل الدار سفر لا يحلون عقد الترحال إلا في غيرها ، وقد أتاك ما ليس بمردود عنك ، وارتحل عنك ما ليس براجع إليك ، وأقام من سيظعن عنك ويدعك ، إن الدنيا ثلاثة أيام : فامس عظة وشاهد عدل فجعك بنفسه وأبقى لك وعليك حكمه ، واليوم غنيمة وصديق أتاك ولم تأته ، طالت عليك غيبته ، وستسرع عنك رحلته ، وغد لا تدرى من أهله ، وسيأتيك إن وجدك فما أحسن الشكر للمنعم والتسليم للقادر ، وقد مضت لنا أصول نحن فروعها ، فما بقاء الفروع بعد أصولها!! وأعلم أن أعظم المصيبة سوء الخلف منها ، وخير من الخير معطيه ، وشر من الشر فاعله .

٣ . خطبة قس بن ساعدة في سوق عكاظ :

روى " أبو الفرج الأصفهاني " عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما قدم وفد إياد على النبي ﷺ قال : ما فعل قس بن ساعدة ؟ قالوا مات يا رسول الله قال: كأني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورق ، وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ، ما أجدني أحفظه ، فقال رجل من القوم : أنا أحفظة يا رسول الله ، قال: كيف سمعته يقول ؟ قال : سمعته يقول:

أيها الناس : اسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت أت ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، بحار تزخر، ونجوم تزهر ، وضوء وظلام وبر وآثام ومطعم ومشرب ، وملبس ومركب ، مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا فناموا ؟ وإله قس ما على وجه الأرض دين أفضل من دين قد أظلكم زمانه ، وأدرككم أوانه أو أنه، فطوبى لمن أدركه فاتبعه ، وويل لمن خالفه ثم أنشأ يقول :

في الذاهبين الأولين
من القرون لنا بصائر
لما رأيت مواردا
للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها
يمضي الأضاغر والأكابر
أيقنت أني لا محالة
حيث صار القوم صائر

**٣ . خطبة أبي طالب عم الرسول ﷺ في تزويج خديجة بن خويلد :**

قال أبو طالب : " الحمد الله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم ، وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلدا حراما ، وبيتاً محجوبا ، وجعلنا الحكام على الناس ، ثم إن محمد ابن عبد الله بن أخي من لا يوزن به فتى من قريش إلا رجح عليه براً وفضلا وكرما وعقلا ومجداً ونبلا ، وإن كان في المال قل فالمال ظل زائل وعارية مسترجعة ، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم من الصداق فعلى.

**٤ . خطبة هاشم بن عبد المطلب في إكرام الحجيج :**

**قال هاشم :**

يا معشر قريش : أنتم سادة العرب ، أحسنها وجوها، وأعظمها أحلاماً، وأوسطها أنسابا ، وأقربها أرحاما ، يا معشر قريش : أنتم جيران بيت الله ، أكرمكم بولايته ، وخصكم بجواره دون إسماعيل وحفظ منكم أحسن ما حفظ جار من جاره ، فأكرموا ضيفه وزوار بيته ، فإنهم يأتونكم شعثاً غبرا من بلد فورب هذه البنية لو كان لي مال يحمل ذلك لكفيتموه ، ألا وإني مخرج من طيب مالي وحلاله ما لم تقطع فيه رحم ولم يؤخذ بظلم ولم يدخل فيه حرام فواضعه ، فمن شاء منكم أن يفعل منها ذلك فعل .

وأسألكم بحرمة هذا البيت ألا يخرج رجل منكم لكرامة زوار بيت الله ومعونته إلا طيبا لم يؤخذ ظلما ولم تقطع فيه رحم ولم يغتصب .

**التعريف بالخطيب :**

هو " عمرو بن عبد مناف والد عبد المطلب " جد الرسول ﷺ ، كانت له سقاية الحجاج وإطعامهم ، وكان أول من سن رحلة الشتاء إلى اليمن ورحلة

الصيف إلى اليمن ورحلة الصيف إلى الشام ، وكان أحد الأجواد الذين ضرب بهم المثل في الكرم وحسن الضيافة ، أنقذ قريشا من مجاعات كثيرة، وحماها من نوازل عديدة ، كادت أن تهز كيانها ، وتشتت شملها ، وهو أول من هشم الثريد لقومه ، ولذلك غلب عليه أسم " هشام " . مات وهو في طريقه إلى الشام .

## مناسبة الخطبة :

لما كانت سقاية الحجيج مسندة إلى " هشام بن عبد مناف " ، ولما كان العرب يحجون بيت الله الحرام كل عام كان على " هشام " ألا يدخر وسعا في توفير سبل الراحة والأمان لهم ، وبالفعل كان " هشام " يبذل قصارى جهده ووقته ليؤمن البلاد ، ويعبد السبل ، ويكرم الحجيج ، وكان من ذلك تكرار حثه لقريش على أن تعطي وتبذل وتكرم الحجيج ، وهذه الخطبة أثر من آثار اهتمامه البالغ بالحجيج .

## معاني المفردات :

١. **الأحلام :** العقول .
٢. **أوسطها أنسابا :** أفضلها أنسابا.
٣. **أقربها أرحاما :** أشدها قرابة .
٤. **أكرمكم بولايته:** شرفكم بأن جعلكم قائمين على رعاية البيت .
٥. **إسماعيل :** هو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام .
٦. **أحسن ما حفظ جار من جاره :** أكرمكم بأن أحللكم بلدا آمنا .
٧. **الأشعث :** الملبد الشعر من وعثاء السفر.
٨. **البنيـــة :** وهي الكعبة .

٩. **لكفيتموه :** أي لو كان لي مال عنكم كل ما يقدم لحجاج بيت الله .

١٠. **فواضعه :** أي مخصصة لحجاج البيت .

١١. **بحرمة هذا البيت :** بحقه عليكم .

## أفكار لخطبة :

**تقوم خطبة هشام على ثلاث أفكار هي :**

١. مدح قريش والثناء عليها .

٢. بيان تكريم الله لهم بأن جعلهم جيران بيته الحرام .

٣. حمل قريش على البذل والعطاء وإكرام الحجيج .

## الدراسة والتعليق :

هذه خطبة من الخطب الكثيرة التي ورثناها عن أجدادنا الجاهلين ، قالها هشام بن عبد مناف ليحث قومه على حسن استقبال الحجيج ، وإكرامهم ، والعناية بأمورهم ، وقد حاول هشام أن تتضمن خطبته ما يكفل لها بأن تكون حقيقة بإقناع من وجهت إليهم ، فالخطابة تقوم أولاً وأخيراً على الإقناع ، والخطيب مطالب قبل كل شيء بأن يقنع جمهور المخاطبين بما يقول .وإذا لقينا نظرة سريعة على الخطبة لاحظنا أنها تتضمن ثلاث أفكار ، جعلها الخطيب محوراً ، أدار خطبته حوله ، فكأني به من خلال هذه الأفكار قد قسم خطبته إلى مقدمة، وموضوع ، وخاتمة .

وإذا أمعنا النظر في المقدمة رأينا أنها تتضمن الثناء على قريش وامتداحهم بالشرف والرفعة وطهارة النسب ، وعراقة الأصل ، وكرامة المنبت ، وأرى أنه فعل

ذلك ليستميل عقولهم وقلوبهم إليه ، وليعطوه آذانهم ومشاعرهم ، ومن ثم يكون قريبا منهم ملتحما بهم .

أما الموضوع فيتضمن لفت أنظارهم إلى قدوم الحجيج شعثاً غبراً ، قد نالت منهم الغربة ، وأنهكهم السفر ، وأرهقهم التنقل وطول الطريق ، كما يتضمن الموضوع أيضاً لفت أنظار قومه بأن الله قد كرمهم ، ورفع منزلتهم بأن جعلهم جوار بيته الحرام .

أما الخاتمة فقد ضمنها الخطيب الغرض الذي من أجله أنشأ خطبته ، وهو الحث على إكرام الحجيج ، وحسن استقبالهم ووفادتهم ، والعمل على راحتهم وأمنهم .

وقد حفلت الخطبة ببعض الألوان الفنية التي أضفت عليها الروعة والجمال ، وأكسبتها البراعة والجلال ، وقد تعددت الأوان الفنية في الخطبة، فتقف فيها على الصور البيانية ، والأساليب الإنشائية ، وكذلك الأساليب الخبرية

١. فمن الصور البيانية : " يأتونكم شعثاً غبرا " فهذه كناية ، أوردها " هشام " في صورة حسية أعطت المعنى وضوحا ، ومنحته قوة وتأثير ، وقد أوردها الخطيب ليثير في نفوس قريش الرغبة في إكرام الحجيج ، وليحفزهم على البذل والعطاء ، ومن الصور أيضاً قوله : " أحسنها وجوها " فهذه كناية عن الشرف والرفعة ، وقوله : " أوسطها نسبا " كناية عن عراقة الأصل، وكرم المنبت، وقوله : " بيت أل " له كناية عن الكعبة المشرقة .

٢. وقد نوع هشام أسلوبه بين الأسلوب الخبري والإنشائي ، فمن الأساليب الإنشائية في خطبته قوله : " يا معشر قريش " وقد كرر هذا

النداء رغبة منه في استمالة قلوبهم والاستحواذ على عقولهم ، ومن الأساليب الإنشائية كذلك قوله : " أكرموا ضيفه " ، وقوله : " أسألكم بحرمة هذا البيت ، ومن الأساليب الخبرية قوله : أنتم جيران بيت الله " وقوله : " أنتم سادة العرب ".

٣. امتاز الخطبة بترتيب أفكارها ، حيث نلاحظ أن كل فكرة تسلم للأخرى ، وهذا ما أعطى للخطبة تماسكاً ، ومنحها تلاحماً وقوة سبك.

٤. خلت الخطبة من الألفاظ الغريبة ، فألفاظها سهلة مأنوسة ، لا غرابة فيها ، ولا حوشية ، فالألفاظ ذات معان واضحة ، لا تكد الذهن ، ولا ترهق الفكر في استخراجها والوقوف عليها .

٥. أما معاني الخطبة فهي واضحة وضوح الشمس في رائعة النهار، فلم نقف في الخطبة على غموض أو إغراق في معانيها ، كما لم نقف على تدخل ولا تعظل بين دلالاتها .

٦. خلت الخطبة من دلائل الصنعة التكلف ، فلم نقع فيها اهتمام كبير بالمحسنات البديعية والصنعة اللفظية ، وهذا ما يجعلنا نقول : إن الرجل لم يتكلف في أداء خطبته وإنما ترك نفسه على سجيتها .

٧. الخطبة تشير دون شك إلى تغلغل الروح الدينية في نفوس العرب، فقد كانوا يكبرون البيت الحرام ويعظمونه ، ويكرمون زواره والوافدين إليه.

## الوصايا :



obeikandl.com

**الوصية :** في الحقيقة الأمر توجيه سديد ، ونصح خالص ، وإرشاد سليم ، وحث على التمسك بأمر مهم وخطير ، والوصايا تصدر - عادة - من أناس عمروا طويلاً ، وخاضوا كثيراً من التجارب ، وعركوا الحياة وعركتهم ، وخبروا كثيراً من أمورها وشتى شئونها حتى أصبحوا على دراية كبيرة بعواقب الأمور وعلى علم تام بما ينفع ويضر ، وبناء على ذلك نجد أن الوصايا تصدر في الغالب الأعم من أب رحيم على أبنائه أو أم حانية على بناتها ، أو زعيم راع على قومه .

## دواعي الوصايا :

وهناك دواع تفرض على ذوى التجارب العريضة والآراء السديدة والعقول المستنيرة أن يقوموا بإصدار الوصايا وإرسالها ، ولعل من أهم هذه الدواعي الشعور بقرب الأجل وانتهاء الأمل ، والإحساس بتغير الأحوال ، ونزول الخطر .

**نماذج من الوصايا في العصر الجاهلي :**

**١ - ذو الإصبع العدواني يوصي ابنه أُسيدا .**

**قال ذو الإصبع :**

يا بني إن أباك قد فنى وهو حي ، وعاش حتى سئم العيش ، وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته ، فاحفظ عني : ألن جانبك لقومك يحبوك وتواضع لهم يرفعوك وأبسط لهم وجهك يطيعوك ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم . واسمح بما لك واحم حريمك ، واعزز جارك ، وأعن من استعان بك ، واكرم ضيفك ، وأسرع النهضة في الصريخ فإن لك أجلا لا يعدوك ، وصن وجهك عن مسألة أحد شيئاً فبذلك سؤددك .

## التعريف بصاحب الوصية :

هو حرثان بن الحارث العداوني ، عاش في العصر الجاهلي ، وعمر طويلاً ، يعد من حكماء العرب ، وهو إلى جابن ذلك من الشعراء الفرسان ، فقد شهد وقائع كثيرة ، وخاض معارك مشهورة ، وله شعر جيد ، وسمى ذا الإصبع لأن حية نهشت إبهام قدمه فقطعه ، أو لأنه كانت برجله إصبع زائدة.

## معاني المفردات :

١. **سئم العيش :** كره الحياة .
٢. **ألن جانبك لقومك :** كن رفيقاً بهم في معاملتك إياهم .
٣. **أبسط لهم وجهك :** أي كن طلق الوجه، ودع العبوس والانقباض .
٤. **ولا تستأثر عليهم :** أي لا تؤثر نفسك بشيء دونهم .
٥. **يسودك :** أي يجعلونك سيداً .
٦. **واسمح بمالك :** أي لا تكن بخيلاً ، وكن جواداً كريماً .
٧. **واحم حريمك :** حافظ على حرمتك واحم كل ما يجب حمايته .
٨. **واعزر جارك :** انصره وكن سنداً له .
٩. **الصريخ :** المستغيث .
١٠. **لا يعدوك :** أي لا يتجاوزك أو يتخطاك .
١١. **صن وجهك :** احفظ ماء وجهك وحافظ على عزة نفسك .
١٢. **السؤدد :** الشرف .

## أفكار الوصية :

**تدرر وصية ذي الإصبع حول عدة أفكار ، نجملها في النقاط التالية :**

١. كبر سنه وتأففه من الحياة وبغضه لها .

٢. الشيم الحميدة والخلال الكريمة التي تجعل المرء سيدا في قومه .

٣. نجدة الصريخ .

٤. الابتعاد عن مواطن الذل .

**معنى الوصية :**

عندما نقرأ الوصية نلاحظ أن ذا الإصبع العدواني بدأ وصيته بالإشادة إلى أنه عاش عمرا طويلا ، وأنه خاض تجارب الحياة العريضة ، حتى أصبح عليماً بأمور قد تخفى على الصغار ، وأنه أصبح على مشارف الموت، وأكبر الظن أنه فعل ذلك ليشير إلى خطورة ما يريد أن يوصى ابنه به ، وكذلك ليؤكد صدق ما يقول ، لأن ما يقوله نتيجة خبرته الطويلة في الحياة ، ثم أخذ ذو الإصبع يوصى ابنه ، ويحثه على أن يتمسك بمكارم الأخلاق ، وحميد الصفات أن يطرح الكبر جانباً ، ويتمسك بالتواضع ، فإنه إن فعل ذلك نال الحظوة في قومه ، والصفة الثانية التي حث ذو الإصبع ابنه على أن يتمسك بها هي صفة بسط الوجه وترك العبوس والتجهم، وأخذ ذو الإصبع بعد ذلك في سرد الخلال الكريمة ووضعها إزاء ابنه ليتمسك بها كالكرم ، ونجدة الصريخ ، والابتعاد عن مواقف الذل .

**تحليل الوصية :**

١. لم يهجم " ذو الإصبع " مرة واحدة على ابنه ليوصيه ، وإنما قام بتمهيد بدأ به الوصية ألمح فيه إلى كبر سنه ، وقرب أجله ، وشعوره بالخطر ، وقد فعل ذلك ليستميل قلب ابنه إليه ، ولتكون وصيته ذات أثر فعال .

٢. انتقل " ذو الإصبع " من التمهيد إلى ما يكفل لابنه حياة سعيدة كريمة في قومه ، فجعل يضع أمامه الخلال الطيبة التي تجعله في ألفة تامة ، وود مستمر مع أبناء قومه .

٣. يلاحظ أن " ذو الإصبع " قرن كل صفة بنتيجتها المترتبة عليها ، فلين الجانب يميل القلوب ، والتواضع يرفع صاحبه .

٤. وأهم ما يميز الوصية أن جملها قصيرة ، وعبارتها موجزة ، وأسلوبها قوى ومعانيها واضحة لا غموض فيها ولا التواء ، ومن ثم كانت الوصية أبلغ في التأثير واحظي بالقبول .

openkandl.com

الأمثال:

**المثل :** قوله موجز مشهور يشبه به حال الذي حكى فيه بحال الذي قبل لأجله ، ولكل مثل مورد ومضرب ، فالمورد هو الحال التي قيل فيها المثل ، والمضرب هو الحال التي يقال فيها ، وتتميز الأمثال بأنها تصدر من وحي الفطرة السليمة ، تحت تأثير من الشعور الصادق ، والتجارب الفعلية .

وتتميز الأمثال كذلك بإيجاز ألفاظها ، وإصابة معانيها ، وما تتضمن عليه من حسن التشبيه ، وجودة الكناية ، ومن ثم فهي تهب الكلام رونقاً ، وتفرغ عليه قبولاً وحسناً .

وقد اهتم كثير من العلماء بجمع الأمثال وشرحها ، في مصادر مستقلة مثل كتاب " الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام " ، والأمثال " لأبي عكرمة الضبي " ، والأمثال " للمفضل الضبى " ، وجمهرة الأمثال " لأبى هلال العسكرى"، والمستقصى" للزمخشرى "، ومجمع الأمثال " للميداني "، ويعد هذا الكتاب من أوفى الكتب وأفضلها وأشملها التي ألفت في هذا الموضوع ، فقد جمعه الميداني من خمسين كتابا ، ألفت جميعها في الأمثال ، ثم قام بترتيب أمثاله على حروف المعجم بعد أن أضاف إليها أمثال المولدين.

وأمثال الجاهلين سجل حافل يضم كل ما يتصل بحياتهم الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية ، وتشير إلى كل ما تحتوي عليه بيئتهم من حيوانات أو زواحف أو حشرات أو ظواهر طبيعية ، والنظر في مجموع الأمثال الجاهلية يجد أنها صورت الحياة الجاهلية تصويراً دقيقاً ، وهذا ما يحدو بنا إلى أن نقول بكل اطمئنان إن الأمثال الجاهلية كانت بمثابة صورة صادقة للحياة الجاهلية ، وإنها كانت بحق صوت المجتمع الجاهل الذي جسد آماله وأحلامه وآلامه وأفراحه

وأتراحه ، فمن الأمثال التي تعطينا صورة صادقة عن حياتهم السياسية وما كان يسرى خلالها من خصومات بين الإمارات العربية والقبائل المختلفة قولهم : "أشام من البسوس " ، وقولهم : " لا ناقة لي فيها ولا جمل " ، وقولهم : " أجرى من داحس ".

ومن امثالهم التي تعطينا صورة صادقة أمينة عن نمط حياتهم الاقتصادية قولهم : " إنما الدلو بالرشاء " ، وقولهم : " أنفك منك وإن كان أجدع " .

ومن أمثالهم التي تشير إلى ما كان يقع عليهم من خطوب وكوارث قولهم : " سبق السيف العذل " ، وقولهم : " رأى فاتر وعدو حاضر " ، وقولهم : " بالصيف ضعيف اللبن " .

ومن أمثالهم التي تشير إلى قوة إدراكهم لبواطن النفس البشرية قولهم : " حبك للشيء يعمى ويصم " ، وقولهم : " رب أخ لم تلده أمك " ، " مقتل الرجل بين فكيه " ، والمكثار كخاطب ليل " .

وإليك طائفة من أمثالهم لنقف من خلالها على سمات الأمثال وما تميزت به :

**١ . لا تعدم الحسناء ذاماً :**

يضرب مثلاً للشيء الفاضل يكون فيه ما يشينه .

وأول من قال ذلك " حبي بنت مالك العدوانية "وكانت جميلة فخطبها" مالك بن غسان "، فلما حملها قالت أمها لنسوتها إن لنا عند الملامسة رشحة، فإذا أردتن إدخالها على زوجها فمحن أعطافها بما في أصدافها ، فلما أردن ذلك بها أعجلهن زوجها عن تطيبها ، فوجد منها رويحة ، فلما أصبح قيل له كيف

رأيت طروقتك ؟ قال : لم أر كالليلة لولا رويحة أنكرتها ، فقالت من خلف الستر ، لن تعدم الحسناء ذاماً فذهبت مثلاً .

**٣ . وافق شن طبقة :**

وقصة هذا المثل أن شنا كان رجلاً من عقلاء العرب ، قال والله لأطوفن حتى أجد امرأة مثلى فأتزوجها ، فبينما هو في بعض مسيرة إذ وافقه رجل في الطريق فسأله شن أين تريد ؟ فقال : موضع كذا ، يريد القرية التي يقصد لها شن، فوافقه فلما أخذا في مسيرها قال له شن : أتحملني أم أحملك، فقال له الرجل : يا جاهل أنا راكب وأنت راكب ، فكيف أحملك أو تحملني ؟ فسكت عنه شن وسار إذا قريا من القرية إذا هما بزرع قد استحصد ، فقال له شن أترى هذا الزرع أكل أم لا ؟ فقال الرجل يا جاهل ترى نبتاً مستحصداً فتقول أتراه أكل أم لا ، فسكت عنه حتى إذا دخلا القرية لقيتهما جنازة ، فقال شن أترى صاحب هذا انعش حيا أم ميتا ؟ فقال له الرجل ما رأيت أجهل منك ، نرى جنازة فتسأل أميت صاحبها أم حي ؟ فسكت عنه شن وأراد مفارقته ، فأبى الرجل أن يتركه حتى يصير به إلى منزله فمضى معه ، وكان للرجل ابنة يقال لها طبقة فلما دخل عليها أبوها سألته عن ضيفه فأخبرها بمرافقته إياه وشكا إليها جهله وحدثها بحديثه ، فقالت يا أبه ما هذا بجاهل .

أما قوله أتحملني أم أحملك فأراد أتحدثني أم أحدثك حتى تقطع طريقنا، وأما قوله : أترى هذا الزرع أكل أم لا فإنما أراد أباعه أهلوه فأكلوا ثمنه أم لا ، وأما قوله في الجنازة فأراد هل ترك عقبا يحيا بهم ذكره أم لا ؟ فخرج الرجل فقعد مع " شن " فحادثه ساعة ، ثم قال له أتحب أن أفسر لك ما سألتني عنه ؟ فقال : نعم ،

ففسره، فقال : " شن " ما هذا من كلامك فمن صاحبة ؟ قال ابنة لي : فخطبها فزوجه إياها فلما رأوها قالوا وافق شن طبقة يضرب مثلاً .

**٣ . جوع كلبك يتبعك :**

**يضرب لما ينبغى أن يعامل به اللئام .**

أول من قال ذلك ملك من ملوك حمير كان عنيفاً على أهل مملكته ، يغتصب أموالهم ، ويسلبهم حقوقهم ، وكانوا يخبرونه أنه سيقتل ، فلا يحفل بذلك، وأن امرأته سمعت أصوات السؤال فقالت : إني لأرحم هؤلاء لما يلقون من الجهد ونحن في العيش والرغد ، وإني لأخاف أن يكونوا عليك سباعا ، وقد كانوا لنا أتباعا فرد عليها ، جوع كليك يتبعك ، فأرسلها مثلاً ، فلبث زمانا ثم أغزاهم فغنموا وحرمهم من الغنيمة ، فقالوا لأخيه وكان أميرهم ، إنا نكره خروج الملك فيكم وقد ترى ما نحن فيه فساعدنا على التخلص منه وأجلس مكانه فوثبوا ليه فقتلوه ، فمر به " عامر بن جذيمة " وهو مقتول وقد سمع بقوله : جوع كلبك يتبعك فقال ربما أكل الكلب مؤدبة إذا لم ينل شبعه ، فأرسلها مثلا يضرب لما ينبغي أن يعمل به اللئام .

**٤ .لا عطر بعد عروس :**

**يضرب لمن لا يدخر عنه نفيس .**

وأول من قال ذلك امرأة من عذرة ، يقال لها " أسماء بنت عبد الله " ، وكان لها زوج من بني عمها يقال له عروس ، فمات عنها ، فتزوجها رجل من قومها يقال له نوفل ، وكان أعسر أبخر بخيلاً دميماً ، فلما أراد أن يظعن بها قالت له :

لو أذنت لي فرثيت ابن عمي وبكيت عند رمسه ، قال : افعلي. فأنشأت تقول : يا عروس الأعراس ، يا أسداً عند الباس ، مع أشياء ليس يعملها الناس ، قال نوفل: وما تلك الأشياء ؟ قالت : كان عند الهمة غير نعاس ، ويعمل السيف صبيحات الباس ، ثم قالت : يا عرس الأعراس الأزهر الطيب الخيم ، الكريم العنصر ، مع أشياء ليس نذكر ، قال : وما تلك الأشياء ؟ قالت : كان عيونا للخنا والمنكر ، طيب النكهة غير أبخر ، أيسر غير أعسر ، فعرف أنها تعرض به فلما رحل بها قال : أيتها المرأة ضمي عطرك ، ونظر على قشوة فيها عطرها مطروحة ، فقالت : لا عطر بعد عروس فذهبت مثلاً ، ويقال إن رجلاً تزوج امرأة فوجدها تفله فقال لها أين الطيب ؟ فقالت خبأته ، فقال : لا عطر بعد عروس ، يضرب لمن لا يدخر عنه نفيس .

**٥ . رب ساع لقاعد :**

أول من قاله النابغة الذبياني شاعر النعمان بن المنذر ، وقصة هذا المثل أن وفداً من وفود العرب أتى النعمان بن المنذر ، وكان فيهم رجل من بني عبس يقال له شقيق ، فمات عنده ، فلما حبا " النعمان " الوفود بعث على أهل شقيق بمثل حباء الوفد فقال النابغة : رب ساع لقاعد .

**٤ . جزاء سنمار :**

**يضرب لمن يجزي بالإحسان الإساءة .**

ومعنى هذا المثل أن جزائي جزاء سنمار ، وسنمار رجل رومي بني الخورنق " للنعمات بن امرئ القيس " ولما فرغ منه ألقاه " النعمان " من أعلاه فخر ميتاً ، وإنما فعل ذلك به لئلا يبني مثله لغيره ، فضربت العرب به المثل لمن يجزي بالإحسان الإساءة .

## الحـــكـــــم :

الحكمة قول يتسم بالإيجاز، يتضمن حكما إما يحث على الخير، ويدعو إلى الفضيلة، وإما ينهي عن الخبث، ويكف عن الشر، فالأمة العربية من أكثر الأمم إرسالاً للحكمة وإفرازاً لها، ويرجع ذلك إلى كثرة تجارب أبنائها في الحياة، وحصانة عقولهم، ورجاحة تفكيرهم من ناحية، ويرجع كذلك إلى فصاحتهم النادرة، وقوة تمكنهم من زمام الأساليب من ناحية أخرى.

والملاحظ أن الحكمة تجيء في الشعر كما تجيء في النثر، فتقف عليها في الشعر في صورة أبيات منظومة وموزونة داخل القصائد الطويلة، ونقف عليها في النثر الجالي في صورة عبارات دقيقة قصيرة موجزة من الوزن، تتضمن خلاصة تجارب عريضة لأفراد أو جماعات.

وقد حفظت لنا كتب الأدب ومصادر التاريخ كثيراً من أعلام الحكمة في العصر الجاهلي في الشعر والنثر، فمن حكماء الجاهلية، " ذو الإصبع العدواني " واسمه " عامر بن الظرب "، " و " قس بن ساعدة الإيادي "، و " طرفة بن العبد ".

وللحكمة أثر بالغ في الكلام، فهي تورث بهاء وقبولا، وتمنحه عذوبة وشرفاً، وترتفع به، وتضعه في منزلة سامية، ومن ثم تقبل عليه انفس البشرية في لهفة، وترتاح إليه الأفئدة، وتطمئن إليه الأذهان، فالكلام الذي يشتمل على الحكمة يكون أمتع في الصدور وأوقع في النفوس، وآنق في الأسماع، وأسير في الآفاق، ولا شك في ذلك، فالحكمة تثير في النفوس حب الفضيلة وتدعو إلى الهداية وتحث على مكارم الأخلاق.

وإليك طائفة من حكم الجاهلية :

**قال أكثم بن صيفي** [1] .

حيلة من لا حيلة له الصبر .

العافية الملك الخفي .

من لم يأس على ما فاته أراح نفسه .

عدو الرجل حمقه وصديقه عقله .

الكرم حسن الفطنة وحسن التغافل ، واللؤم سوء التغافل .

الحر حر وإن مسه الضر ، والعبد عبد وإن كان في رغد .

الحر لا يكون صريع بطنه ولا فرجه .

أحق من يشركك في النعم شركاؤك في المكاره .

الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة وإفراط الأنس مكسبة لقرناء السوء.

إن سرك من دمك فانظر أين يريقه .

لا تفش سرك إلى أمة ولا تبل على أكمة .

الصمت يكسب أهلة المحبة .

**وقال أيضا** [2]:

من لا حاك فقد عداك ، فضل القول على الفعل دناءة ، وفضل الفعل على القول مكرمة ، المناكح الكريمة من مدارج الشرف ، الوقوف عند الشبهة خير من اقتحام الهلكة . من يصحب الزمان ير الهوان . في كل عام سقام . ومن كل خبرة عبرة كل فرحة ترحة ، من مأمنه يؤتى الحذر ، رب صبابة غرست من لحظة ،

١ - أكثم بن صيفى ومأثوراته د / كاظم الظواهر ص ٢١٣ وما بعدها دار الصابوني - ط ٢ - ١٩٩١م .
٢ - السابق ٢٠٨ .



obeikandi.com

ورب حرب شبت من لفظة . رب كلمة سلبت نعمة ، رب ملموم لا ذنب له ، رضا الناس غاية لا تدرك . خير السخاء ما وافق الحاجة ، ومن عرف قدره لم يهلك ، ومن صبر ظفر ، وأكرم أخلاق الرجال العدو .

**حكم للصعقب بن عمرو بن النهدي [1]:**

قال ابن دريد أخبرنا السكن بن سعيد الرموزى عن محمد بن عباد عن الكلبى قال : وفد " الصعقب بن عمرو النهدى " في عشرة من بني نهد على " النعمان بن المنذر " ، وكان الصعقب رجلاً قصيراً دميما تقتحمه العين شريفاً بعيد الصوت ، وكان قد بلغ النعمان حديثه ، فلما أخبر النعمان بهم قال للآذان : ائذن للصعقب ، فنظر الأذن إلى أعظمهم وأجملهم ، فقال : أنت الصعقب ؟ قال : لا ، فقال للذي يليه في العظم والهيئة : أأنت هو ، فقال لا : فاستحيا ، فقال ايكم الصعقب ؟ فقال الصعفب ؟ الصعقب : هانذا فأدخله إلى النعمان ، فلما رآه قال: تسمع بالميعدى خير من أن تراه ! فقال له الصعقب : أبيت اللعن : أن الرجال ليسوا بالمسوك يستقسى فيها ، انما الرجل بأصغريه بلسانه وقلبه ؟ أن قاتل قاتل بجنان ، وأن نطق نطق ببيان ، فقال له النعمان : فلله أبوك : فكيف بصرك بالأمور؟ فقال : أنقض منها المفتول ؟ وأبرم منها المسحول وأحليها حتى تحول، ثم أنظر إلى ما يئول ، وليس لها بصاحب من لم ينظر في العواقب . قال : قد أحلت وأحسنت ، فأخبرني عن العجز الظاهر والفقر الحاضر . قال : أما الظاهر فالشاب الضعيف الحيلة المتبوع للحيلة ، الذي يحوم حولها ويسمع قولها ، إن غضبت ترضاها وإن رضيت تفداها ، فذاك الذي لا كان ولا ولد النساء مثله .

---

١ - تعليق من أمالي ابن دريد ٢٢٤ - ٢٢٥ ، ومعنى الصعقب : الطويل ، والمسك : الجلد أو خاص بالسخلة ، والسحل: الذي قوة واحدة ، داء ، عياء : لا يبرأ منه ، سبع فلانا : شتمه ووقع فيه .



obeikandl.com

وأما الفقر الحاضر فالذي لا تشبع نفسه ، وإن كان له قنطار من ذهب. قال: فاخبرني عن السوءة السوءاء والداء العياء ، قال : أما السوءة السوءاء فالمرآة السليطة التي تعجب من غير عجب ، وتغضب من غير غضب ، فصاحبها لا ينعم باله ولا يحسن حاله ، إن كان ذا مال لم ينفعه ، وإن كان فقيراً عير به ، فأراح الله منها بعلها ، ولا متع بها أهلها .

وأما الداء العياء فالجار جار البيت إن شهدك شافهك ، وإن غبت عنه سبعك ، وإن قاولته بهتك ، وإن سكت عنه ظلمك ، فقال له النعمان : أنت أنت ! فأحسن صلته وصلة أصحابه " .

**وقال " عامر بن الظرب العدواني " [1]:**

يا معشر عدوان : الخير ألوف عروف، وإنه لن يفارق صاحبه حتى يفارقه، وإني لم أصبح حكيماً حتى صاحبت الحكماء ، ولم أكن سيدكم حتى تعبدت لكم.

**وقال " النعمان بن المنذر " :**

من سأل فوق قدره استحق الحرمان ، ومن ألحف في المسألة استحق الرد ، والرفق يمن ، والحزن شؤم ، وخير الطاعة ما وافق الحاجة ، وخير العفو ما كان مع القدرة [2] .

**وقال أيضا [3] :**

الملك حلو الطعم مر التكاليف ، وكان يقول من خان جان ، ولما وقع في حبس ابرويز وأشرف على التلف قال : من له يدان بغوائل الزمان ، ومن كلامه : الملك عقيم أي لا أرحام بين الملوك وبين أحد .

---

١- امالى لأبى القالي ٢ / ١٧٩ .
٢- كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة ص ١٨ .
٣- الإعجاز والإيجاز للثعالبي ص ٦١ - ٦٢ ومعنى : جان ، الجان السود : أي من خدع وغش يسود : وجهه يوم الدين وغوائل جمع غائلة وهي الداهية المهلكة .



openkandil.com

**وقال عمرو بن هند** [١] :

السلاح ثم الكفاح والمحاضرة، وكان يقول الملوك يشتمون بالأفعال لا بالأقوال ، ويتسفهون بالأيدي لا بالألسن .

**وقال الحارث بن أبي شمر الغساني ملك عرب الشام** [٢] .

إذا التقي السفيان بطل الخيار ، وكان يقول من اغتر بكلام عدوه فهو أعدى عدو لنفسه ، ومن كلامه : الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود .

**وقال حسان بن تبع الحميري " أحد ملوك اليمن "** [٣] :

لا تثقن بالملك فإنه ملول ، ولا بالمرآة ، فإنها خؤون ، ولا بالدابة فإنها شرود ، ومن كلامه المعروف حصن النعمة من صروف الزمن ، وضروب المحن .

١- السبق ص ٦٢.
٢- السبق ص ٦٣.
٣- السبق ص ٦٣.



obeikandl.com